العنوان: أحمد رضا حوحو – غادة أم القرى-

1/ التعريف بالكاتب أحمد رضا حوحو: ولد أحمد رضا حوحو ببلدة سيدي عقبة من ولاية الأوراس وفي بلدته حفظ القرآن الكريم، وتلقى العلوم العربية والفرنسية ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره توجه إلى سكيكدة ليتابع دراسته ثم عاد إلى بلدته ليعمل موظفا في البريد، وفي عام 1934م هاجر مع أسرته إلى المدينة المنورة فنهل من نبعها العربي الأصيل، ونال الشهادة العليا عام 1938م من مدرسة العلوم الشرعية واشتغل بعد تخرجه أستاذا فيها.

وفي أثناء إقامته بالحجاز شارك في تحرير مجلة المنهل المكية ونشر فيها بعض من قصصه ومقالاته وترجماته من الأدب الفرنسي وكان يكتب في مجلة الرابطة العربية التي يصدرها أمين سعيد بمصر، وفي عام 1946م قرر العودة إلى الجزائر وفي طريق عودته مر بمصر وقضى فيها شهرا وإثر رجوعه إلى الوطن استقر بمدينة – قسنطينة-وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعمل مديرا لمدرسة التربية والتعليم وعندما فتح معهد ابن باديس أبوابه عام 1974م عُين أمينا عاما لإدارته.

وفي سنة 1949م أصدر مع فئة من شباب العلماء بقسنطينة جريدة شعبية أسبوعية للنقد والكفاح سميت – الشعلة- وأسندت إليه رئاسة تحريرها فكان يحرر باب – المسامير- يدقها في ظهر الاستعمار وأذنابه المارقين عن الوطن والدين.

وللكاتب نشاط فني في المسرح والتمثيل فقد أسس – **جمعية المزهر القسنطينة**- عام 1947م وله آثار أدبية منها:

- ✓ **غادة أم القرى.**
- ✓ **مع حمار الحكيم.**
- ✓ **نماذج بشرية.**
- ✓ **صاحبة الوحي.**
- ✓ **أول مقال له- الطرقية في خدمة المستعمر-**

اغتاله الاستعمار الفرنسي انتقاما عام 1956م بقسنطينة.

2/ دوره في الحركة الأدبية الجزائرية: قبل أن نعرج على دوره في الحركة الأدبية الجزائرية من الضروري أن نقول أن النثر الجزائري قد تخلص من أسلوب الماضي المعروف بكثرة الترادف والسجع والاستشهاد بالشعر وبالعبارات المأثورة في ثنايا الكتاب والعناية بالديباجة والقشرة الخارجية للتعبير وبعد الحرب العالمية الثانية تم إنشاء الصحافة الوطنية التي تهتم بمشاكل الأدب والفكر قبل أن تخرج بقضية العروبة في الجزائر إلى مستواها السياسي محاولة بذلك ربط الحاضر بالماضي والتجاوب مع الأقطار العربية وقد حشدت – **المنتقد، عيون البصائر** – جملة من الأقلام الوطنية للتعبير عن مختلف النزعات، وبفضلهم تقدمت حركة النثر أشواطا بعيدة.

وأما الكاتب رضا حوحو فحين عاد إلى الجزائر لم يجد شيئا جديدا نفس القيادة، نفس الشعارات، نفس الوجوه، ولكن من التغييرات التي رصدها هي:

- ✓ ازداد الوعي الجماهيري
- ✓ انتهاء أحداث 8 ماي المروعة.

ولقد انتفع بتجربته في المشرق حيث التقى بالمنابع الأولى للثقافة العربية – وقف على أهم المشاكل التي تشغل بال الأدباء- وعندما رجع للجزائر وجد جيلا جديدا يبحث عن نفسه عقب الحرب العالمية الثانية وبدأ يكتب.

- ✓ أصدر أول قصة – غادة أم القرى- وهي عبارة عن قصة اجتماعية تجري حوادثها على أرض الحجاز وقد أهداها إلى المرأة الجزائرية " **إلى تلك التي تعيش محرومة من نعم الحب.... من نعم العلم....من نعم الحرية.... إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود..... إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى**"

لاحظ وجود شبه بين المرأة الحجازية والمرأة الجزائرية حيث هاجم بعض الرجعيين وأنه يدعو إلى تحرير المرأة.

- ✓ أمد الصحافة الجزائرية بكثير من المقالات الاجتماعية والنقدية والقصص الخفيفة – خدم الصحافة بأسلوبه الساخر-.
- ✓ ساهم في حركة الترجمة.
- ✓ وضع البذرة الأولى للرواية المكتوبة باللغة العربية في الجزائر.

✓ أسهم في الادب المسرحي.

3/ رضا حوحو والنقاد: كان رضا حوحو يكره النقاد ويشكوهم ويتأفف منهم يراهم ثرثارين كالعجائز، ومع ذلك كان يجاملهم ويتقي شرهم يغمزهم أحيانا ويجاملهم أحيانا لم يلبث أن جمعهم في مشرحة واحدة في مقال عنوانه – أه من النقاد-.

كان ثائرا على الأدب المائع والأسلوب الركيك يدعو إلى أدب عربي محكم البناء جزيل العبارة، وكان يقول أننا لا نرضى لأدبنا أن يذهب به هؤلاء الأدباء العصريون الذين لا يحسنون إلا شقشقة الألفاظ ومضغ الكلام الضيق.

وقد كتب عنهم عدة مرات وأشار إليهم في كثير من مقالاته ومحاوراته وكان أخر ما كتب عنهم مقال بعنوان: إلى أين تذهبون بالأدب يا فقاقيع الأدب-؟.

هاجمهم في أسلوبهم، حركتهم، أذواقهم وربط بين تخنث أسلوبهم الأدبي وتخنث شخصياتهم ثم أورد نموذجا لما يسمونه أدبا ألفه من عنده وأخيرا هددهم وقال:" إننا بالمرصاد وسنقضي على بذوره قبل استفحالها ولا نقبل في شمالنا الإفريقي إلا أدبا عربيا مبينا أخذ من الماضي متانته ومن الحاضر سلامته وليذهب الرصيد الفني والشعرية الفارغة وفقاقيع الأدب إلى الجحيم" .

ويبدو أن رضا حوحو في ثورته على أدب – السوينق- كما يسميه لم يكن أدبا معينا ولا أسلوبا بذاته وإنما تناول ظاهرة كاملة وليس هناك ما يبرر هذا الهجوم لأن المدرسة السائدة – مدرسة البصائر-.

كتب مقالات في الميزان النقدي كان يمكن عدها من المقالات المساهمة في الحركة الأدبية الجزائرية لولا تعرضه لبعض الشخصيات وأحكامه التي فيها تسرع وارتجال – لا تخضع لمقاييس النقد وتطبيق نظرياته-.

ولقد ختم أبو القاسم سعد الله كلامه بقوله:" لن نكون متحاملين إذا قلنا أن باع حوحو في اللغة العربية لم يكن طويلا، لكن ثقافته الفرنسية واطلاعه الواسع، وروحه المرهفة وأحاسيسه بمسؤولية الأديب الملتزم ....كل ذلك جعل شخصيته متميزة في الادب الجزائري الحديث وقد نال شرف الاستشهاد في سبيل تعريب الجزائر...".

4/ رواية غادة أم القرى:

الرواية تناولت قصة زكية فتاة مكية " معتدلة القامة رشيقة القدّ، تكسو جسمها سمرة، تشوبها حمرة خفيفة ذات عينين نجلاوين حالكة السواد"، تتقن التطريز " تعيش بين الجدران محرومة من الانتقال إلى الحيز الخارجي، محرومة من التعبير عن أفكارها"، تكبلها العادات والتقاليد، تعلقت بابن خالتها –جميل صادق- منذ الطفولة، إلى أن منعت عنه، أحبته ولم تدرك ذلك إلا وهي تراقبه عبر شباك غرفتها في غدوه ورواحه، بكل هدوء خوفا من أن يكتشف أمرها، فالفتاة لا يجب أن تصرح برغبتها في الزواج أما الحبّ فهو" جريمة لا تغتفر في مثل هذه الأسر ولو كان طاهرا نقيا، وغظهار الاهتمام شيء مخجل و وصمة لا تمحى"

تشعر زكية بضعفها داخل الفضاء المغلق الذي يصبح يوما بعد يوم أشبه بالزنزانة الحقيقية لتتفاجأ بقدوم حبيبها، فلم يكن في البيت سواها، يدق الباب تجتاحها سعادة غامرة ممزوجة بمرارة العجز عن التغيير، فتق ضعيفة مستلبة الحرية خاضعة لإرادة الغير غير قادرة حتى على إجابته من وراء الباب، فتكتفي بالتصفيق، ليدرك هو أن لا رجل في البيت فيعود أدراجه.

وتبدأ أحداث الرواية في التأزم حين يتقدم الشيخ أسعد لخطبة زكية لابنه رؤوف، غير أن الشيخ سلمان والد زكية يعتذر منه رافضا طلبه بحجة أن ابنته مخطوبة لابن خالتها جميل وهنا يستشيط الشيخ – أسعد- غضبا، ويخرج مهددا متوعدا بالانتقام.

وفي الجانب الأخر يظهر الكاتب زكية وهي في قمة السعاد، فرحة بما سمعت، فجميل قد تقدم لخطبتها، ولكنها لا تدرك حجم الكارثة التي ستقع لها ولجميل، حيث نجد رؤوف يترصد لجميل ليوقع به، ويدعي أمام الشرطة أنه قد اعتدى عليه، وهو في حالة سكر، وبمساعدة شاهدي زور، زج بجميل في السجن بين اللصوص والمجرمين دون أن يُسمع إلى احتجاجاته الصاخبة، ويحكم عليه بستة أشهر سجنا وبثمانين جلدة، في كل شهر في الساحة العامة، شاع خبر سجن جميل في أنحاء – أم القرى- وكانت زكية أشد الناس حزنا عليه، وبمجرد سماعها الخبر استولت عليها نوبة نفسية وأخذت ترتجف وتضاربت في نفسها قوتان: الحب وتقاليد الأسرة لتستلم للقوة المتغلبة فتفقد صوابها.

يبقى جميل في سجنه ويقترب موعد جلده وهو لا حول ولا قوة له، يمد يديه لله متضرعا طالبا الفرج، في حين كانت أمه تنتظر قدومه بفارغ الصبر قدوم الملك الذي نصحوها بمراجعته، وبعد أن تأكد قدومه قصدته بكل عزيمة تدفعها عاطفة الأمومة لتقف أمامه دون خوف أو وجل تبثه شكواها ويعدّها هو بالنظر في القضية، وهذا ما يفعله بعد عودته إلى قصره، ليتأكد من صحة أقوالها وأن

جميل سجن ظلما وعدوانا، فيأمر بإطلاق سراحه ويسجن رؤوف وشاهدي الزور، ولكن المفاجأة كانت كبيرة فجميل مات قهرا في السجن وزكية تعثرت رجلها لتسقط ويصطدم رأسها بحجر درج السلم الصلبة، فيغمى عليها وتموت وهي تردد " جميل ...ها أنذا !!!!..."

وبهذا تكون النهاية مأسوية لهذه القصة، وهي النهاية التي اختاره الكاتب ليقرب لنا معاناة المرآة في المجتمع الحجازي.

و لقد تعمق حوحو في التعبير عن الهموم الأنثوية في روايته بطريقة سردية تعتمد سرد الراوي العالم بكل شيء" واستولت عليها نوبة نفسية مبرحة، وأخذت ترتجف وتضاربت في نفسها قوتان جبارتان: الحب وتقاليد الأسرة، فهذه الأخيرة تحثها على التظاهر بعدم المبالاة وعدم الاكتراث والمحافظة على شرف الأسرة، والحب الذي حطم قلبها وتركه يتفجر أسى وآلاما يتطلب الثورة والنصيب وهذه الدموع المتحجّرة التي تحرق مقلتيها وتثقلهما تطلب التحقيق".

تميزت الرواية فنيا بـــ:

- ✓ شخصيات منتزعة من صميم الواقع(زكية، جميل صادق، أسعد، سلمان، أم جميل، عبد الرؤوف، .....)
- ✓ توفر الآليات السردية (الزمان، المكان، الأحداث، الشخصيات المتنوعة) .
- ✓ ذات خط درامي تقليدي بالمعنى المعروف، الذي يستند إلى بداية و وسط وخاتمة وحبكة، والنهاية تقريبا تكون معروف منذ البداية، وفي الرواية لقد تنوعت وتوزعت وتوازنت أليات السرد، فكان فيها السرد والوصف والحوار، حيث نجد السرد الذي يقاطعه الحوار بين الشخصيات وتطل بعده المناجاة والحوار الداخلي، وكل ذلك مع الانتقال بين الأزمنة ففي حين نكون موغلين في الماضي البعيد بكل صدقه وبراءته يبرز الحاضر بما يحمله من معاناة وخوف وظلم، إضافة إلى الوصف الدقيق لأشياء من حياة الشخصيات اليومية يعطي الرواية مسحة واقعية تريح عقل القارئ.

وأما الحبكة حسب ما أقر عبد الملك مرتاض فإن هذه الحبكة أقوى ما تكون في غادة أم القرى، وهي من النوع المركب لأن الكاتب بناها على أكثر من حكاية.

وعليه يمكننا القول بأن رواية –غادة أم القرى – تعدّ البذرة الأولى لنشأة الرواية المكتوبة باللغة العربية في الجزائر حيث يرى عبد الملك مرتاض أن" النثر الأدبي الجزائري لم يعرف إلا محاولة روائية

واحدة هي رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو، وهذه الرواية من النوع القصير إن صح هذا التعبير لكنها جاوزت في حجمها مفهوم القصة القصيرة بكثير وناهيك أن الكاتب نشرها وحدها مستقلة في مجلد واحد.... وكما اقر الناقد بأن حوحو كان موفقا من حيث اختيار هذا الموضوع الخصب، لأن المرأة العربية وما كانت تتخبط فيه من مشاكل نفسية، كفيل بأن يعطي لأي رواية رونقا خاصا، ويمدها بمسحة لطيفة من الفن"

تطبيق: في الرواية – أبعاد نفسية، اجتماعية، دينية وإيديولوجية – وضحها.

مراجع المحاضرة:

_ أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م، ص 85، 94.

- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين: من شهداء ثورة أول نوفمبر1954م-1962م ، ص 78.
- ينظر: يوسف قنفود، امحمد دراوي، محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 5، العدد 1، ص 264، 280.
- أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، الأنيس السلسلة الأدبية، إشراف محمد بلقايد، عن وزارة الثقافة، ط1، 2009م.